# التعاون بين البيت والمدرسة

تكاد تقتصر العلاقة بين البيت والمدرسة فى مصر على أن يؤدى الأول مصروفات التلميذ وأن يتسلم آخر العام شهادة بدرجاته ونقله أو رسوبه . ومن وقت لآخر تصل إلى البيت بطاقة صغيرة عن غياب التلميذ أو نحو ذلك .

وكثير من الآباء يتوهم أن إدخال التلميذ فى مدرسة ما يرفع عنه تبعة التربية حتى لا يكلف نفسه التفكير فى شؤون الأبناء . مع أن الواقع أن عبء " التربية " يكاد يقع على الآباء وحدهم إذا كان عبء " التعليم " يقع على المعلمين . ففى المدرسة يتعلم التلميذ اللغة والرياضيات وسائر المواد الثقافية . أما فى البيت فإنه يتعلم الأخلاق ويمارس من السلوك ما سوف يؤثر فى حياته المستقبلة من نجاح أو خيبة . بل إن نجاحه المدرسى قد يتوقف على الأسلوب الذى تتبعه عائلته فى معيشتها فى البيت . ونستطيع أن نلمس أثر البيت فى المدرسة حين نذكر أن على البيت واجب العناية الصحية بالتلميذ من توفير الغذاء والراحة له ، إلى إيجاد الجو السعيد حتى لا يحمل معه إلى المدرسة نفسا مثقلة بالهموم المنزلية فيتشتت ذهنه ويسوء فهمه للدروس . وعلى البيت أن يقدم القدوة الحسنة فى الأخلاق الفاضلة فى الأم والأب . بل على البيت أن يكسب التلميذ الذوق الفنى فى السلوك .

وهناك مدارس جديدة تسير الآن بإلهام العقول الذكية والقلوب البارة ، وتحاول أن تعلم التلاميذ الأخلاق وتغرس فيهم اسلوبا يتفق والحياة المدنية الديمقراطية . وهى لهذا الغرض قد أنشأت الأندية فى المدرسة لكى يجتمع فيها التلاميذ والمعلمون ويقوم الجميع بمجهودات لا تعتمد على المباراة ولكن على التعاون . كما أن الألعاب الرياضية بل ومكتبة المدرسة قد أصبحت جميعها ميدانا لممارسات اجتماعية يراد منها تعويد التلميذ حمل التبعات الاجتماعية والشعور بأنه عضو عامل فى أمة ديمقراطية له حق التفكير المستقل وواجب العمل للرقى الاجتماعى العام .

ولم نعرف الى الآن فى مصر مثل هذه المدارس وإن كانت هناك محاولات جديدة نحو ايجادها . كما أن الآباء لم يتنبهوا للآن الى حقوق الصبيان . فقد قال احد رجال التربية "إن الصبى الذى لا يستمتع بصباه حتى يعيش طفلا فى طفولته وصبيا فى صباه وشابا فى شبابه لن يكون رجلا فى رجولته . ذلك لأن إفساد الطفولة أو الصبا أو الشباب هو افساد للرجولة" هذا والافساد كثيرا ما يأتى من ناحية تكليف الصبيان واجبات تعدو طاقتهم أولا تغريهم

بالدرس والانتباه فهم يؤدونها كارهين . كذلك التلميذ الذى لا يكاد يؤدى امتحانه وينجح فيه حتى يسارع الى تمزيق الكتب والكراسات التى أبلاها بالدرس وأبلته بالسأم . فان مثل هذا التلميذ على الرغم من نجاحه ان يرجى منه توسع فى هذه المادة أو تلك التى كرهها . وهو عندما يغادر المدرسة لن يفكر فى ترقية معارفه أو التعمق فى ثقافته . وشهادته التى ينالها عندئذ إنما هى شهادة بأنه قد فطم عن الدراسة . فلكى ينتفع التلميذ بدراسته وينشأ على أخلاق قويمة يجب أن يجمع الى الطمع المادى طموحا روحيا وأن يرتاح الى المدرسة ويحبها كما يرتاح الى البيت ويحبه . كما يجب أن تتعاون المدرسة والبيت على خدمته وترقيته والفحص عن عيوبه ومعالجتها اول بأول

وجدير بنا أن نسأل فى مصر : هل بيوتنا قد أعدت الاعداد الحسن لخدمة الطفل ثم الصبى ؟

إن البيت المصرى المتوسط لا يخلو من " صالون " للضيوف ، وهو مؤثث بأغلى الأثاث والعناية بتنظيفه وتجديده لا تنقطع ، مع أن الضيوف الذين يرتادونه قد لا يزيدون على ثلاثة أو أربعة أشخاص فى الشهر فى حين أنه ليس فى بيوتنا غرف خاصة للأطفال يمارسون فيها حريتهم وألعابهم وتسلياتهم . فنحن نطاردهم من غرفة إلى أخرى ونمنعهم من الصياح ونعاقبهم على الوثب ، ولا نبالى أن نفسد عليهم مشروعاتهم الصبيانية عن بيت يبنونه من الخشب أو الرمل ، مع أن لهذه المشروعات من القيمة فى تربية الطفل ما لا يقل عن القيمة فى تعليمهم الحساب أو اللغة ، لأن الصبى يقبل على مشروعاته بحماسة وتفكير ، وهو يثابر على العمل حتى يصل الى نتيجة منشودة فى ذهنه . وليست العبرة هنا بالمشروع فى ذاته وإنما هى بما يؤثر فى ذهن الصبى وما يستنبط منه من اختراع ومثابرة . ولذلك فان كل صبى يحتاج إلى حرية الصياح والحركة واللعب ، ومن الضرر الكبير أن نحيله إلى شيخ وقور يلزم الصمت والهدوء فى حين تطالبه طبيعة صباه بضد ذلك ، وكثير من بيوتنا " شقق " فى مبان كبيرة متعددة الطبقات ، وهى لا تسمح للأطفال باللعب والوثب والصياح والجرى وسائر ألوان النشاط التى تحتاج إلى فناء أو حديقة واسعة ، وفى مثل هذه الحال يجب أن يعنى الأب بتوفير اللعب لصبيانه فى أحد الأندية الخاصة بالصبيان وهى أندية ما زالت للأسف قليلة فى بلادنا مع أنها كثيرة متوافرة فى جميع المدن الأوربية والأمريكية .

ووسط المدرسة عندنا لا يزال على نشأته القديمة ؛ تكبر فيه العناية بالنظام والصرامة حتى تكاد المدرسة تقارب الثكنة العسكرية . فان المعلم لا يكاد يعرف عن الصبى إلا أنه تلميذ فى فصله بل أحيانا يجهل اسمه ولا يطالبه بأكثر من النجاح فى المادة التى يعلمه إياها . وأحيانا توضع العقوبات بحيث تجعل المدرسة وواجباتها كأنها عقوبة . فان التلميذ يحجز فيها عند ما يهمل بعض واجباته . فيستشعر من هذا الحجز أن البقاء بالمدرسة سيء وأن الانطلاق منها حسن ، وهذا ما لا يحب أب أو معلم أن ينتهى اليه صبى فى منطقه وتفكيره .

وصحيح ان هناك مدارس قليلة شرعت تقارب بين المعلم والتلميذ وتؤسس المؤسسات لزيادة هذا التقارب ، ولكنها كما قلنا لاتزال قليلة . ومن البديهيات فى التعليم أن للعاطفة — عاطفة الحب أو الكراهة — أثرا فى التفات التلميذ أو إهماله لدروسه . فاذا كان الصبى يكره المعلم لأنه يجهله أولأنه لم يجد الفرصة للحديث والتقريب بينه وبينه فانه فى أغلب الأحوال يكره المادة التى يدرسها مهما يكن ذكاؤه وقد يرسب لهذا السبب . فيجب أن تكون العلاقة القائمة بين التلميذ والمعلم علاقة الود والاحترام والتفاهم والبعد عن الصرامة .

فاذا وجد الصبى وسطا حسنا فى البيت وأبوين يقدران حريته واستقلاله ولا يعارضانه فى تصرفاته المعقولة ثم وجد مثل هذا الوسط فى المدرسة : من معلم يعطف على نشاطه ويشجعه ويقبل عليه بكلمات الاعجاب والحب ، إلى ناظر ينظم له الاجتماعات التى ترقى شعوره بتبعاته وتكسبه التقدير الحسن لشخصه ، فانه ينشأ ويسير نحو الشباب دون أن يجد عقبات تؤخر نموه الجسمى أو الذهنى . وهو يدخل عندئذ فى طور الشباب بريئا من المركبات السيئة التى تفسد النفس وتضللها .

وقد شاعت فى الأيام الأخيرة "جمعيات الآباء والمعلمين" وهى تجتمع لدرس أحوال التلاميذ وبحث صعوباتهم العامة . وهناك بالطبع صعوبات خاصة تحتاج الى مقابلات خاصة بين والد التلميذ ومعلمه . ولكن هذه الجمعيات التى أشرنا اليها يراد منها بحث الصعوبات التى تكاد تعترض جميع الصبيان . ويجتمع المعلمون والآباء فيشكو الأب ما يجد من ابنه من إهمال أو مخالفات فى السلوك . ويتناقش الجميع فى ذلك كل يبدى رأيه . وقد تنتهى المناقشة بإلقاء التبعة على الأب المشتكى . أو قد يجد المعلم فرصة لتوجيه التلميذ وجهة أخرى . وهناك بالطبع الشاوع أو الشوارع التى تقع بين البيت والمدرسة وهى التى يقطعها الصبى كل يوم فى رواحه وغدوه . بل هناك الميادين والشوارع التى تحيط بالبيت وفى كل منها بيئة اجتماعية خاصة قد تكون حسنة أو سيئة فإن هذه كلها يجب أن تكون موضوع الدرس بين المعلم والوالد .

ونذكر أن أحد النظار للمدارس الثانوية — ونظنه ناظر مدرسة الزقازيق الحكومية — قد أوجد هذه الجمعية وانتفع بها الآباء كثيرا حتى كانوا يلحون فى الحضور فى الاجتماعات . وتحسن وزارة المعارف اذا هى أخذت بهذا النظام وكلفت النظار تأليف هذه الجمعيات حتى يجد التلاميذ العين الساهرة على مصالحهم ونموهم فى البيت والمدرسة معا .